

شبابنا أماننا

لهم المصير ربي اللبنة

الدار المصرية اللبنانية

16 ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : 3923525 - 3936743

فاكس : 3909618 - برقياً : دار شادو

ص . ب : 2022 - القاهرة

رقم الإيداع : 2002 / 17332

الترقيم الدولي : 7 - 752 - 270 - 977

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : شوال 1423 هـ - يناير 2003 م .

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

تليفون : 3256098 - 3251043

المدير العام : محمد رشاد

مستشار الدار : أ.د حسن عبد الشافي

المشرف الفني : محمد حبشي

هيئة التحرير :

المشرف العام : أ.د سيد صبحي

مستشار التحرير : أ.د. أحمد المجدوب

مستشار التحرير : الشيخ منصور الرفاعي

شبابنا أمالنا

الشباب العربي والتغيير الاجتماعي

د. سامية الساعاتي

المبشر
لقدار المصير ربة البنائين

لماذا هذه السلسلة؟

شبابنا آمالنا ..

صيحة تنطلق من احترامنا لهذه الفترة العمرية من حياة الإنسان ، ولعل هذا الاحترام ينال مع المراحل النهائية السابقة كل الاعتبار؛ لأن مرحلة الشباب من المراحل العمرية التي تتميز بالقابلية للنمو في النواحي الجسمية والاجتماعية والنفسية والعقلية والتعليمية ، إلى جانب القدرة على الابتكار والمشاركة الفعالة في إحداث التغيير والتطوير في المجتمع الذي يعيشون بين جوانبه ، لأن الشباب هم عماد الأمة ، وأساسها الراسخ الذي يقوم عليه بنيانها .. فإن صلحوا صلح البناء كله ، وإن فسدوا أو اهتزت قيمهم ضعف البناء ، حتى لقد قيل في أحد الأقوال المأثورة : « أمة بلا شباب أقوىاء هي أمة بلا مستقبل .. محكوم عليها بالفناء ! ».

ولما كانت قضايا الشباب من أهم القضايا التي تهتم بها المجتمعات الساعية إلى التقدم ؛ فقد اهتمت « الدار المصرية اللبنانية » بإصدار سلسلة عن الشباب ليقرأها الشباب العربى بنفسه ، فيستطلع فيها أمور يومه وغده ، ويقف على مشاكل حياته وقفة جد تنير له الطريق ، تعرفه بما يجب عليه فعله ، وذلك من خلال هذه السلسلة « شبابنا آمالنا » .

وقد حرص محررو هذه السلسلة على أن تخاطب الشباب مباشرة وليس الآباء أو الأمهات أو المعلمين ، فضمنوها موضوعات تهتم الشباب العربى

من المحيط إلى الخليج ، حيث إن الاهتمامات بين البيئة العربية واحدة تقريباً، وإن تباينت من بلد إلى آخر ! كما حرص محررو السلسلة على أن تناقش بعض القضايا التى تقترب معهم وبهم من الكمال النمائى ، إيماناً منهم بأن هذه المرحلة قد يظهر خلالها بعض الاضطرابات السلوكية ، وبعض جوانب التفاعلات الاجتماعية التى يظهر فيها القبول تارة ، والرفض تارة أخرى .. إلى جانب أنها فترة يظهر فيها - كذلك - جوانب الانتماء ، والمسئولية ، والعطاء ، إذا أعدت الإعداد السليم .. أو قد نرى فيها بعض الملامح السلوكية التى تجمع ببعض الشباب إلى طريق الاندفاع والثورة والرفض والتبرم والاعتراض ! لذا .. كانت المحاور الرئيسية التى تقوم عليها هذه السلسلة هى : الاهتمام بالجانب الثقافى المعرفى ، والجانب الأخلاقى الدينى ، والجانب النفسى الاجتماعى ، والجانب الرياضى الترويحى ، بالإضافة إلى الجانب الإعلامى الإرشادى ، وأخيراً الجانب التأهيل المهنى .. وذلك من خلال دراسات وآراء كبار الأساتذة والمفكرين التى تقوّم قضايا ومشكلات الشباب من منظور أخلاقى ؛ حمايةً ووقايةً للشباب .

وإننا نقدم هذه السلسلة إيماناً منا بأن الشاب العربى الذى ينتسب إلى طائفة العاملين الجادين ؛ ينتسب بدوره إلى فئة الأبرار .. تلك التى تحرسها الملائكة لأنهم يعملون من أجل رفعة أوطانهم ، فتحفهم بدعوات صادقة ، وتحذرهم فى الوقت نفسه حين يتهددتهم خطر الضلال الذى قد يضطرهم إلى القيام بكثير من الأعمال التى تنحرف بهم عن جادة الطريق .

.. والله الهادى إلى سواء السبيل ..

مقدمة :

يشهد مجتمعنا العربي المعاصر تغيرات واسعة النطاق ، من حيث عمقها ، واتجاهاتها ، ونتائجها .

ومع نهاية الألفية الثانية بأحداثها ، وتطوراتها ، مر المجتمع العربي بتغيرات وتحولات اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وثقافية متعددة ، ظهر في ظلها الكثير من المشكلات كنتاج لتأثيراتها المختلفة على المجتمع بعمامة ، وانعكاس هذه التأثيرات على الشباب بخاصة ، باعتبارهم أكثر الفئات في المجتمع ، معاناة ، وتأثرا بنتائجها .

وليس من شك أن أكثر مايعنى به المشتغلون بالمسائل الاجتماعية هو كيف نستطيع أن نخضع هذا التغير لتوجيه يُسهم في تحقيق مزيد من التقدم ، والنماء ، والإشباع لحاجات الجماهير العريضة في هذا المجتمع . ثم إن القضية الرئيسية الأخرى في هذا المجال هي إلى أى حد يمكن لهذه التغيرات أن تجعل المجتمع العربي يخرج من الأزمات التي يعيشها ، وأكثر هذه الأزمات إلحاحا هي أزمة اللحاق بركب التقدم التكنولوجي والحضاري ، وأزمة التبعية .

والتساؤل الحاسم في هذا الصدد مؤداه : من هم أولئك الذين تقع عليهم مسؤولية تحمل أعباء الدور الطليعي في عملية التغيير ، وإعادة البناء

التي يتطلبها الخروج من هذه الأزمة ؟ إن الإجابة تنحصر فى أن جيل الشباب العربى هو الجيل المزود بإمكانيات المساهمة فى هذه العملية .

وهكذا تكتسب هذه الدراسة أهميتها ، من أنها تتجه مباشرة إلى أهم عنصر فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة التى يحتاجها مجتمعنا العربى المعاصر .. ألا وهو جيل الشباب الذى يمثل قوة العمل الحقيقية ، والقادر على تجسيد إرادة التغيير .

والعلاقة بين الشباب العربى والسياق المجتمعى الأشمل هو محور هذه الدراسة . وإذا كانت الدراسة تركز على الشباب كمرحلة عمرية حاسمة فيما يتصل بعلاقة الإنسان العربى بالواقع المجتمعى المحيط ، فإنها لا تهدف إلى عزل هذه المرحلة العمرية عن غيرها من مراحل النمو النفسى والاجتماعى ، وإنما تميل إلى إبراز هذه المرحلة العمرية عن غيرها من مراحل النمو النفسى والاجتماعى .

وفى هذا الصدد .. نود أن نشير إلى حقيقة مهمة مؤداها أن مرحلة الشباب لا تقل خطورة وتأثيراً فى التنشئة الاجتماعية الكلية للإنسان ، عن مرحلة الطفولة المبكرة . فلقد ساد الاعتقاد لفترة طويلة بأن ما يحدث خلال مرحلة الطفولة - وبخاصة فى الخمس سنوات الأولى من الطفولة المبكرة - إنما ينطوى على نتائج حاسمة بالنسبة لمراحل النمو اللاحقة ، فذلك هو أساس تكوين الشخصية ، بل إن كثيراً من الخبرات التى نكتسبها خلال هذه المرحلة المبكرة يتعذر تماماً التخلص من تأثيرها النافذ فى سمات الشخصية .

ومع تأكيدنا لأهمية مرحلة الطفولة المبكرة ، إلا أن نتائج الدراسات

التي أجريت على مرحلة المراهقة والشباب ، قد مكنتنا من تعديل الكثير من افتراضاتنا الشائعة حول هذه المرحلة . فضلا عن أنها دفعتنا إلى تطوير إشارات نظرية ومنهجية في هذا الميدان . فليس من شك أن الخبرات التي نكتسبها ونكوّنها خلال مراحل عمرية أخرى ، تكون بالغة الأهمية ، وبخاصة في مرحلة المراهقة والشباب الباكر ، وهي لا تقل أهمية عن مرحلة الطفولة .. كما أن التكيف والتوافق ، الذي نحققه في أثناء المراهقة يؤثر تأثيرا بالغا في النضج الاجتماعي والنفس للأفراد ، وفي تنمية علاقة صحية بينهم وبين المجتمع ككل .

ولقد صاحب ذلك أيضا تغير في طريقة تصورنا لمرحلة المراهقة والشباب ، فلم يعد هناك اهتمام بوصف هذه المرحلة في ضوء مقولات استاتيكية بوصفها مرحلة فريدة أو مستقلة أو حتى مجموعة من المراحل الفرعية في دورة الحياة ، إذ كشفت الشواهد الواقعية بوضوح أن هناك فروقا فردية هائلة يتعرض لها الشباب الذين ينتمون إلى مرحلة عمرية واحدة ، بحيث يكون من الأفضل أن ننظر إلى هذه المرحلة العمرية باعتبارها تمثل عملية انتقالية يمر خلالها الفرد من مرحلة الطفولة إلى المراهقة ، ليصل إلى النضج النفسي والاجتماعي . ومن المؤكد أنه خلال هذه العملية الانتقالية ، يتعرض الشاب لكثير من الضغوط العاطفية والنفسية والاجتماعية .. بعضها داخلي ، وبعضها الآخر خارجي مرتبط بثلة الأقران ، والأسرة ، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية ، وبالمجتمع بصفة عامة ، وأحيانا ما تعمل هذه القوى الخارجية على الإسراع بالانتقال إلى مرحلة النضج الاجتماعي والنفسى بمعدلات أسرع مما يفضلها المرء ، وأحيانا أخرى ، تعوق هذه الضغوط إمكانيات تحقيق الاستقلال

والنضوج بالسرعة المطلوبة . ويمكن القول بعامة ، أن التفاعل بين القوى الداخلية والخارجية ، هو المسئول عن ضروب النجاح أو الفشل ، فى الانتقال بسلام إلى مرحلة النضج الاجتماعى والنفسى .

وقد قدمنا فى هذه الدراسة بعض الأطر الفكرية ، التى يمكن دراسة وتحليل أوضاع الشباب العربى من خلالها . وقد اعتمدنا فى ذلك على نتائج دراسات عربية سابقة عن الشباب ومواقفه من قضايا التنمية والتغير الاجتماعى فى الوطن العربى .

ونستطيع القول - بصفة مبدئية - أن من أخطر الأمور أن نستخدم منظومة فكرية تطورت فى ضوء ظروف مختلفة عن الظروف التى يعيشها الشباب العربى ، ذلك أن تلك المنظومة الفكرية سوف تعكس خصائص وسمات شبابية مختلفة عن تلك التى يتسم بها شبابنا العربى .

وجدير بالذكر .. أن الدراسات الحضارية المقارنة للشباب قد أعانتنا على تغيير كثير من المقولات النظرية الشائعة فى أدبيات هذا الميدان . فمن المسائل التى أصبحت مقبولة الآن ، أن الشباب لايرفض تماما رقابة الكبار - كما كانت تزعم الدراسات المبكرة ، وأنهم يشعرون بحاجة أكيدة إلى معاونة الكبار ، بل وممارسة السلطة عليهم شريطة أن يتحقق ذلك داخل إطار معقول لاينطوى على مبالغة أو تعسف فى استعمال الحق . وبالمثل كشفت الدراسات عن أن الأبناء يميلون إلى التوافق بشكل أفضل إذا تمت تنشئتهم فى مناخ يسمح لهم بأن يشاركوا فى عملية صنع القرار . على أن الشباب فضلا عن ذلك يسعى إلى المشاركة قدر المستطاع فى عالم الكبار ، وبخاصة فى عالم العمل . وهذه حقيقة مهمة كشفت عنها الدراسات

الحضارية المقارنة ، ويمكن الانطلاق منها لدعم برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الدول النامية بجهود شبابية على نحو يحقق نوعاً من الإشباع أو الفائدة المزدوجة .

د . سامية الساعاتي

الفصل الأول

الشباب العربى
والتغير الاجتماعى
(المفهوم .. والأهمية)

الشباب ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعى، والنفسى، والبيولوجى واضحة. ويعدّ الشباب من أكثر الشرائح الاجتماعية تفاعلا مع التغير الحادث فى المجتمع.

وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها، وفقا لعدد من المعايير.. وقد تلجأ - كما كان الأمر كذلك فى المجتمعات التقليدية - إلى طقوس معينة يتعين على الإنسان المرور خلالها كي يكتسب المكانة الاجتماعية التى يتمتع بها الشباب.

وكلما ازدادت المجتمعات تعقيدا وتركيبا وتباينا، نتيجة للتطورات التى شهدتها النظم الاقتصادية والثورة الصناعية والإدارية، تصبح عملية تحديد بداية مرحلة الشباب إحدى مظاهر التطور الاجتماعى، وعاملا رئيسيا من عوامل تنمية الثقافة وتغيير المجتمع ككل، إذ إن هذا التحديد مرتبط بالتغيرات التى طرأت على نظام التعليم فى المجتمع، حين يتوقع المجتمع من الشباب الذى يحصل على قسط لا بأس به من التعليم الرسمى أن يقوم بدوره فى إحداث التغيرات الاجتماعية المرغوبة، والتى تدفع بالمجتمع إلى مزيد من التقدم والنمو الاجتماعى.



● ولا شك أن هناك ارتباطا واضحا بين نمو التكنولوجيا والتغير الاجتماعي .

والواقع أن التطور الذى طرأ على نظام التعليم كان من بين الأسباب الرئيسية التى جعلت الشباب يمثلون فئة اجتماعية لها وزنها فى المجتمع المعاصر . ويبدو ذلك واضحاً من حجم الكتابات التى تتناول بالتحليل والعرض والتفسير أوضاع الشباب وأنماط سلوكهم ، ودورهم فى التغير الاجتماعى والسياسى فى مختلف أنحاء العالم .^(١)

إن الشباب بوصفهم يشكلون الغالبية العظمى من أعضاء المجتمع العربى ، هم الأساس الذى يبنى عليه التقدم فى كافة مجالات الحياة ، فهم أكثر فئات المجتمع حيوية ، وقدرة ، ونشاطاً ، وإصراراً على العمل والعطاء ، ولديهم الإحساس بالجديد ، وحب التجديد ، والرغبة الأكيدة فى التغير ، مما يجعلهم أكثر قدرة على مواجهة مشكلات المستقبل ، وهذا فى حد ذاته مطلب أساسى للتطوير ، والتغير .

ولذلك ، فإن دراسة الشباب بمعزل عن الإطار الاجتماعى والاقتصادى العام الذى يكوّن هيكلاً للمجتمع ، تعد دراسة تفتقد التوجيه النظرى الصحيح ، الذى يقوم على ضرورة ربط الشباب بالبناء الاجتماعى والاقتصادى الأشمل . فحين ندرس الشباب فى إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، فلا بد أن نربط بينهم وبين تيار التغير الاجتماعى فى المجتمع المتجه نحو دعم التطوير العلمى والتكنولوجى والثقافى ، وهذا التطوير يحتاج أساساً إلى المشاركة الإيجابية من الشباب ، تلك المشاركة التى تقوم بدورها ، على تدريبهم على إدراك مقومات التغير واستيعابها ، فتكون شخصياتهم أكثر قدرة على الإنجاز .^(٢)

على أن أهم ما يسهم به الشباب فى مسيرة التنمية والتحديث ، وهو ما يتمتعون به من قدرة على الإبداع والابتكار ، فالشباب يتطلع باستمرار إلى

تبنى ما هو جديد ، ومن ثم فهم مصدر من مصادر التغير الاجتماعي في المجتمع . ومن الحقائق المعروفة أن كمال الثورة التكنولوجية هو أن يتحول شباب العمال من مجرد عمال تنفيذيين مقيدين بالروتين والنظام الدقيق للعمل ، أي مجرد تابع للآلة ، إلى عمال مبدعين قادرين على إيجاد حلول للمشكلات التي تواجههم في أثناء أداء العمل ، وينطبق ذلك على الشباب في كافة المجالات . ذلك أنهم أحوج ما يكونون إلى النظرة الإبداعية للعمل التي تنمي قدراتهم ، وإمكاناتهم العقلية . وتزداد أهمية الشباب إذا علمنا أنهم يمثلون قوة العمل الأساسية في المجتمع . ومن ثم ينبغي دراسة اهتماماتهم ، وأنماط سلوكهم إذا أردنا تطوير نظام العمل والإنتاج في المجتمع ككل .

وإطار المفاهيم الذي تبناه الدراسات الموضوعية للشباب يستعين بمجموعة من الأدوات التصورية التي تناسب طبيعة هذه المرحلة العمرية، ولعل أهم هذه المفاهيم هي : المسؤولية ، والمشاركة في الإنتاج ، والحاجة إلى التغيير ، والتعبير عن الذات والابتكار والتجديد .^(٣) إذ خلال هذه المفهومات نستطيع تشخيص مرحلة الشباب ، وفهم خصائصها ، والتعرف على الجوانب الإيجابية من سلوك الشباب . فمعظم الدراسات التي تناولت الأنماط السلوكية للشباب ، كانت تركز على النواحي السلبية المعتمدة تركيزاً واضحاً ، ويتبدى ذلك بجملة في إطار المفاهيم الذي استعانت به تلك الدراسات مثل : مفهومات التمرد ، والعصيان ، والتوتر ، والقلق ، والتحرر ، والاستقلال والاغتراب .

والواقع أننا لا نكاد نجد ميداناً تضافرت فيه جهود العلوم الاجتماعية ، لدراسة ظاهرة بعينها ، مثلما حدث في ميدان الشباب ، فلقد اهتمت علوم النفس والانثروبولوجيا والاجتماع بهذه المرحلة اهتماماً بالغاً .

وقد حاول علماء الاجتماع أن يقدموا تصورا محددا لمعالجة قضايا الشباب فى صلتها بمشكلات المجتمع المعاصر ، واستطاعوا باستخدام مفاهيم التنمية ، والثقافة ، والمشاركة ، والاغتراب ، والثورة إلى الكشف عن الدور الذى يقوم به الشباب داخل البناء الاجتماعى للمجتمع المعاصر سواء فى المجتمعات المتقدمة أو الأقل تقدما .

والشئ الذى كشفت عنه هذه الدراسات وغيرها ، أن الشباب يشغل الآن مكانة رئيسية فى المجتمع ، وكذلك أوضاعه ، وثقافته ، وأنماط سلوكه ، ومشاركته الاجتماعية هى ظواهر ينبغى أن تخضع للبحث العلمى الدقيق ، وأننا يجب ألا نتورط فى تبنى أطر فكرية مستوردة صنعت فى مجتمعات غربية لا تلائم تحليلنا لقضايا الشباب فى مجتمعنا العربى ، الذى يعيش واقعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا مختلفا إلى حد كبير^(٤) .

الاهتمام العلمى بدراسة الشباب :

هناك اهتمام معاصر بين فروع الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، بدراسة أوضاع الشباب ، واتجاهاتهم ، وأدوارهم ، وقيمهم . ويكاد هذا الاهتمام أن يكون « عالميا » ، إذ أصبح مفهوم الشباب يحظى بالعناية دراسة وتحليلا وتفسيرا فى المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء ، على الرغم من اختلاف الإطار الذى يعالج منه قضايا الشباب وتباين الأدوار ، وتنوع المشكلات بتنوع السياق الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الذى تدرس منه الظواهر المتصلة بالشباب^(٥) .

ولعل السبب الأساسى لمثل هذا الاهتمام العالمى بقضايا الشباب ، يرجع إلى ما يمثله الشباب من قوة للمجتمع ككل ، فهو يعد متميزا إذا ما

نظرنا إليه فى ضوء بنية المجتمع . كما أننا إذا نظرنا إلى الشباب « كفته عمرية » سوف نلاحظ على الفور أنها أكثر الفئات العمرية حيوية وقدرة على العمل والنشاط ، كما أنها هى « الفئة العمرية » التى يكاد بناؤها النفس والثقافى أن يكون مكتملا على نحو يمكنها من التكيف والتوافق والتفاعل والاندماج والمشاركة بأقصى الطاقات التى يمكن أن تسهم فى تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته وإنجازها .

هذا فضلا عما يتصف به الشباب من « مرونة » إلى درجة يمكن أن تكون عوننا أساسيا فى عمليات التكيف مع المواقف التى تواجههم من جهة ، ودعامة قوية يعتمد عليها المجتمع فى رسم سياسات استثمار جهود الشباب من أجل التنمية والبناء من جهة أخرى .

والواقع أن المكانة المعاصرة التى يشغلها الشباب فى المجتمعات كافة ، يمكن النظر إليها على أنها نتاج للتغيرات الاجتماعية والسياسية والديمجرافية والتعليمية والتربوية التى شهدتها القرن الماضى وبواكير القرن الحالى .. وقد أثرت المكانة التى يمثلها الشباب فى بناء المجتمع المعاصر ، كما انعكست على بناء المجتمع ، وعلى طبيعة العلاقات بين الأجيال ، ونوعيه هذه العلاقات ومداها .. كما أن معدل التغير فى المجتمع وإيقاعه ، إنما يتأثرا متأثرا مباشرا بأوضاع الشباب فى المجتمع وأدوارهم ووظائفهم المتعددة فى مختلف القطاعات .

ولعل ذلك يفسر اهتمام كل من الأكاديميين ورجال السياسة على السواء ، بدراسة الشباب ، وتحليل العلاقة بين الشباب كظاهرة والمجتمع ، وذلك من أكثر من زاوية .

فهناك اهتمام بالظواهر العديدة المشاهدة فى المجتمع المعاصر والمرتبطة

بالشباب ، واتجاهاتهم ، وقيمهم وثقافتهم (Youth Culture) وسلوكياتهم السائدة ، مثل : الحركات الطلابية والسياسية للشباب ، ومختلف التعبيرات والقيم السائدة بينهم ، إلى جانب الثقافات الانعزالية ، والسلوك الانحرافى ، وكذلك مختلف نماذج الامتثال والتكامل مع النسق القيمى السائد فى المجتمع .

ومن الظواهر الجديدة بالانتباه فى هذا الصدد ، ظاهرة الرفض (Re-jection) والتي تتبدى فى رفض الشباب للمعايير ، والسلطة ، والتوجيه الذى يمارسه الكبار . بل إن هذا الرفض أصبح يمثل موقفا عاما موحدا ، يظهر بصورة سافرة فى مواقف عديدة ، ومجتمعات مختلفة .. من حيث درجة تقدمها الحضارى ، وطبيعة النظام السياسى السائد فيها .

لكن الشيء الذى ينبغى أن نشير إليه ، هو أن ذلك الرفض الذى يظهر بين الشباب ، يرتبط بالظروف التاريخية والاقتصادية والسياسية التى يمر بها المجتمع ، مثال ذلك : أن الرفض الذى يظهر بين الشباب فى دول أوروبا وأمريكا مختلف فيما يتعلق بأساليب التعبير عنه ، ومحتواه ، وغاياته عن نماذج الرفض الأخرى التى تصدر عن الشباب فى أقطار عديدة من البلاد النامية . ويفسر ذلك إلى جانب التفسير التاريخى الثقافى ، فى ضوء الظروف الراهنة للمجتمع ، والنسق القيمى السائد فيه .

وتعد أزمة الهوية (Identity - Crisis) التى تنشأ من عدم قدرة الشباب على فهم ذواتهم « الجديدة » وتقبلها ، والتعامل معها ، وهى أزمة يتوقف على حلها ، استمرار نضوج الشخص بشكل سوى ، من أهم جوانب أزمة بدايات الشباب .

وهناك اهتمام عالمى معاصر بالشباب ، على الرغم من اختلاف الأطر

التي تعالج من خلالها قضاياهم ، وتنوع السياقات الاجتماعية والاقتصادية التي تدرس فيها الظواهر المتصلة بهم ، ذلك أنهم ^(٦) مصدر التجديد والتغير ، فهم عادة ما يرفعون لواء الحديث من السلوك والعمل .



الفصل الثانى

التغير الاجتماعى فى
الوطن العربى
وتأثيراته على الشباب

شهد الوطن العربى تغيرات وتحولات اجتماعية واسعة النطاق، وقد انعكست هذه التغيرات على مختلف مكونات البنية الاجتماعية والثقافية، وكذلك على النواحي السكانية والعمرانية.

وقد تناولت دراسات التغير الاجتماعى فى الوطن العربى هذه الديناميات من جوانب عدة، وبخاصة فى تأثيرها على الشباب، يمكن إيجازها فيما يلى :

١- التغير الاجتماعى والتغير الثقافى :

الواقع أننا حينما نتحدث عن التغير الاجتماعى، إنما نعنى بشكل أوضح التغير الثقافى، بمعنى أن التغير الثقافى أوسع نطاقاً من التغيرات فى البناء، والوظيفة، والتنظيم الاجتماعى. ونقصد بتلك التغيرات، تلك التى تطرأ على كافة جوانب الحياة فى المجتمع، ويتضمن ذلك الأسرة، والدين، والفن، وقضاء وقت الفراغ، والترويح، والتكنولوجيا.. إلخ. وهذا النوع من التغيرات إنما ينطوى على درجة عالية من التساند والاعتماد المتبادل، بمعنى أن التغير فى الجزء يؤدى إلى تغيرات فى البناء الكلى، فاختراع السيارة - على سبيل المثال - قد أدى إلى تحول أساسى فى الصناعة كما أنه عمل أيضاً على رفع معدلات الحراك الاجتماعى، كما ارتبطت به أساليب جديدة للحياة ومعايير السلوك (٧).

ويتبين مما سبق ، أننا حين نتحدث عن التغير الاجتماعى ، فإن ذلك يعنى تحولات جذرية فى نواحي الحياة المختلفة التى يعيشها الناس فى مجتمع ما .

٢- اتجاهات التغير :

إن الزعم بأن التغير فى العالم العربى يسير فى اتجاه واحد ، هو اتجاه التقدم المستمر إلى ما هو أفضل ، لاتسانده حقائق علمية ، فلم يعد هناك من يعتقد بأن نظرية التقدم والتطور تصلح لتفسير اتجاهات التغير الاجتماعى ، وذلك نظرا لتعدد العوامل المرتبطة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية .

ومع ذلك يمكن أن نقول إن هناك تيارا عاما أو اتجاهها عاما يتمثل فى تزايد معدلات الانفتاح على العالم الخارجى ، أو ما نعبّر عنه بالعولمة ، بمعنى تعدد شبكة علاقاته بالمجتمعات الأخرى . وهذا يجعل اتجاهات التغير الاجتماعى متباينة ، ويعكس بصور مختلفة نماذج التبعية التى يقع فى شباكها الوطن العربى ، مما يؤثر - ولا شك - على الشباب العربى ، وينعكس هذا التأثير فى تباين اتجاهات الشباب ، ونزعاتهم السياسية ، والثقافية ، والاجتماعية المختلفة .

٣- مصادر التغير الاجتماعى :

إن أول ما نفكر فيه ، فيما يتصل بمصادر التغير الاجتماعى ، فكرة الاكتشاف ، وفكرة الاختراع ، وبخاصة فيما يتعلق بدور التكنولوجيا والمخترعات الحديثة فى إحداث تغيرات تتعلق بوضع الشباب ، واتجاهاتهم ، ومواقفهم فى الوطن العربى .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن السيارة ، والتلفون ، والتلفون اللاسلكى ، والتلفون المحمول ، والتليفزيون ، والفيديو ، والفضائيات ، وشبكة المعلومات " Internet " تُحدث جميعها تأثيراتها المختلفة على الشباب فى الوطن العربى ، بدوله الفقيرة والغنية . إلا أننا لا نستطيع أن نزعم أن التكنولوجيا هى المؤثر الوحيد فى التغير الاجتماعى ، وإنما هناك محددات اجتماعية وثقافية للتكنولوجيا . فالقول بأن « الحاجة أم الاختراع » ، إنما يعنى أن هناك شروطا مسبقة تحفز إلى التغير التكنولوجى . ومن جهة أخرى ، فإن انتشار المعرفة الذى يعد عاملا ثقافيا ، يشجع التغير الاجتماعى ، ويعجل بحدوثه .. وبالمثل كثيرا ما ترجع مقاومة التغير أيضا إلى ظروف اجتماعية وثقافية .

فليس صحيحا ، إذن ، أن التقدم التكنولوجى وحده هو العامل الأساسى والوحيد المؤثر فى التغير الاجتماعى ، فالعوامل الاجتماعية والثقافية قد تؤثر أحيانا بطريقة مباشرة ، ولا تحتاج دائما إلى الإفصاح عن نفسها من خلال التكنولوجيا . إن القيم الاجتماعية ، والأيدولوجيات ، والحروب ، والقيادة الملهممة ، تلعب أدوارا مهمة فيما يتعلق بالتغير الاجتماعى ، واتجاهات الشباب خلال العصور المختلفة ، وبدرجات متفاوتة .

٤ - معدلات التغير الاجتماعى :

التغير الاجتماعى ، ظاهرة عامة تحدث فى كل المجتمعات ، لكن ما يهمنى هو معدل التغير ، وعمقه ، ومدى سرعته ، فكل العصور يعتمدها التغير الاجتماعى ، لكن هناك عصور تتميز بالتغير الاجتماعى السريع ، وهذه تنطوى على نتائج عديدة تؤثر على الحياة الاجتماعية .



● ولا شك أن هناك ارتباطا واضحا بين التكنولوجيا والتغير الاجتماعى .

ولا شك أن هناك ارتباطا واضحا بين نمو التكنولوجيا والتغير الاجتماعى ، كما أوضحنا آنفا ، لكن التغير السريع يفرض مطالب على الناس من أجل التكيف والتوافق إذا ما قورن بالتغير البطيء ، أو التدريجى . فمن الضرورى أولا ، أن نتكيف مع وقائع الوجود المادى المتغير ، ويتطلب ذلك أن نتعلم كيف نتعايش مع الحياة الحضرية الحديثة بما تفرضه من أوضاع وما بصاحبها من أنظمة أصبحت جزءا من البيئة الطبيعية المحيطة بنا . فالضوضاء ، والمنافسة ، ووسائل الإعلام ، والازدحام ، وعادم السيارات .. إلخ ، كلها من البيئة الطبيعية المتغيرة التى علينا أن نتعلم كيف نتوافق معها .

ومن الأهمية ثانيا بمكان ، أن نتعلم القواعد الجديدة التى تحكم مواقف لم تكن لدينا خبرة سابقة بها ، ذلك أننا قد اعتدنا أن نتبع ، ونسائر الأنماط المعيارية التى تطورت فى مجتمعنا دون تفكير ، ومن ثم يخلق التغير الاجتماعى السريع مواقف اجتماعية تحتاج إلى تطوير قواعد ومعايير جديدة علينا أن نتعلمها ، وهكذا يؤثر هذا النوع من التغيرات فى النظام الأخلاقى الذى يفقد جزءا من صلاحيته للتعامل فى المواقف الجديدة (٨) .

ومن الضرورى ، ثالثا ، أن نكتسب أدوارا جديدة فى عصر التغير الاجتماعى السريع ، فالمراكز الاجتماعية التى يشغلها الناس ، والأدوار أو الإنماط السلوكية المتوقعة منهم تتغير ، مما يفرض ضرورة اكتساب أدوار جديدة . ففى حالات الاستقرار النسبى أو التغير التدريجى يعلم المرء على وجه الدقة موقعه من شبكة العلاقات الاجتماعية ، ولكن حين تزيد معدلات التغير الاجتماعى ، فإنه يصبح من اللازم إعادة النظر فى التعريفات القديمة للمراكز ، والأوضاع ، والأدوار الاجتماعية . فالأدوار

التي كان يلعبها الأب فى الأسرة التقليدية تغيرت ، وبخاصة فيما يتعلق بأبنائه . وبعبارة أخرى ، فإذا كان التغير الاجتماعى يعمل على تعديل قيم المجتمع ، فإن التغير السريع يجعل من هذه التعديلات .

والمجتمع العربى - على سبيل المثال - على الرغم من أنه يشهد تغيرات واسعة النطاق فى مختلف أقطاره ، إلا أن هناك عناصر للوحدة والاستمرار تربط ماضيه بحاضره ، وتحقق التواصل بين الأجيال . فالشخصية القومية العربية التى هى نتاج لتماثل التاريخ ، واللغة ، والعقيدة ، والتراث الاجتماعى الثقافى ، هى دليل على استمرار هذا التواصل بين الأجيال .

وتعد فترة الشباب أكثر مراحل العمر تأثراً بالتغيرات الاجتماعية السريعة ، التى تطرح اختيارات عديدة فيما يتعلق بالالتزام بالحاضر والمستقبل . كما أن هذه التغيرات تعمل على وضع الشباب فى موقع يشعرهم بأن المجتمع الذى ينتمون إليه ، لا يمنحهم التوجيه الملائم للاختيار السليم ، وذلك نتاج لتغير البناء المعيارى ، وغموض الأدوار الجديدة ، وارتفاع معدلات الحراك الاجتماعى والجغرافى ، والتحولات التى تطرأ على سلطة الكبار بعد أن أصبحت خبراتهم غير ملائمة للمواقف الجديدة ، إلى جانب المكانة التى أصبح يشغلها الشباب فى المجتمع المتغير^(٩) .

هذا ، على الرغم من تعاظم المكانة التى أصبح يشغلها الشباب فى المجتمع الحديث ، فإن الفرص التى يمنحها هذا المجتمع للشباب كى يثبتوا ذواتهم ، ويؤكدوا نضجهم الاجتماعى محدودة بشكل ملحوظ .

ومن اللافت للنظر أن الشباب هم أكثر فئات المجتمع تأثراً بنتائج

التغيرات الاجتماعية السريعة ، وبخاصة العلاقة بين الأجيال . فهذه التغيرات تخلق تناقضا بين الأجيال المختلفة ، فهي عادة ما تكمن وراء الصراعات بين جيل الشباب من جهة ، وجيل الكبار من جهة أخرى ، الذى غالبا ما يتجه إلى المحافظة على الأوضاع القائمة ، وهو يرفض أو يعارض كل ما هو جديد ، فى حين يشجع جيل الشباب النتائج المصاحبة للتغيرات الاجتماعية .

وربما تفسر لنا هذه الصراعات أيضا ما يعانيه شباب العصر من مشكلات يشخصها الكبار على أنها تعنى الانحراف ، أو الاغتراب ، أو الرفض .. لأن الأنماط السلوكية التى تعبر عن هذه الحالات ، هى أنماط خارجة عما اصطلح عليه المجتمع ، وبخاصة « مجتمع الكبار » من مواصفات .

٥- التغير الاجتماعي ، وتوجيه الشباب :

إن التغيرات ، التى انطوى عليها العالم اليوم ، قد شملت مناحى الحياة الاجتماعية كافة ، مما جعل المتخصصين فى العلوم الاجتماعية يواجهون مهمة رئيسية ، ألا وهى مساعدة الشباب على اكتشاف دورهم فى البيئة المحيطة بهم ، وأداء هذا الدور على أعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية . كما كان عليهم أيضا أن يقدموا للشباب الأسس المدروسة التى يستطيعون وفقا لها اتخاذ ما هو ملائم ومناسب من القرارات خلال حياتهم اليومية . وتبدو أهمية هذه المهمة وحيويتها ، حين الأخذ فى الاعتبار تلك الدينامية الهائلة التى يشهدها المجتمع المعاصر ، والتى تتمثل فى عمق التغير الاجتماعى ، وزيادة تعقد الحياة الاجتماعية ، بتنوع الظواهر التى نتعامل

معها يوميا ، وتباين العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الناس .. هذا فضلا
عن شدة تطور تقسيم العمل ، وازدياد معدلات الاعتماد المتبادل ،
والمساند بين مختلف الأعمال.

ومن بين العناصر البنائية الرئيسية التى يتألف منها نسق التوجيه
الاجتماعى للشباب فى المجتمع الحديث ، ونظرة الشباب للمستقبل ،
وتصورهم لنسق القيم الملائم لمستوى التقدم الاجتماعى .



الفصل الثالث

الشباب العربى فى المجتمع المعاصر الأدوار والمكانة

يحظى الدور الذى يقوم به الشباب فى المجتمع منذ القدم بعناية فائقة . والأمر الملاحظ هو ما أصبح يتميز به الشباب من موقف حاسم يتسم بالتأثير الفعال فى نظم المجتمع المعاصر ككل ، بحيث أصبح الاهتمام بقضايا الشباب يعبر عن اهتمام بمستقبل المجتمع الإنسانى ذاته . وتثير ذلك - بالطبع - مشكلة التفاوت والصدام بين القديم والحديث . وليس من شك أن حجم هذا الصدام وعمقه على مدار التاريخ يختلف نتيجة لعوامل متعددة أهمها :

التركيب الاجتماعى ، والاقتصادى ، والمعتقدات الأيديولوجية والسياسية السائدة فى مرحلة بعينها . ولهذا اختلف المنظور الذى عولجت من خلاله قضايا الشباب ومشكلاته ، باختلاف المراحل التاريخية .

وعند الحديث عن مكانة الشباب فى المجتمع العربى المعاصر لابد من الاهتمام بعدة اعتبارات يمكن تلخيصها كالتالى :

أولاً : العلاقة بين التطور الذى طرأ على دور الشباب فى الحياة الاقتصادية للمجتمع ، وفرص التعليم المتاحة أمامهم . وهناك ارتباط ملموس بين الدور الاقتصادى وفرص التعليم من جهة ، وما يتمتع به الشباب من قوة اجتماعية من جهة أخرى . كما أن اعتبار الشباب جزءاً أساسياً من قوة العمل الاقتصادية ، يزيد من قدرتهم فى



● إن الشباب عادة لا يدرك أن الوسط الذي يعيش فيه ليس نتاج نشاطه
فحسب ، بل نتاج أنشطة قامت بها وتحملت مسئوليتها الأجيال
السابقة.

المجتمع . كذلك فإن إخراجهم أو استبعادهم من المجال الاقتصادى ، نتيجة للتعليم الرسمى يضعف من هذه القوة . وعلينا أن نضع فى اعتبارنا تعاضم الدور المؤثر للطلاب فى المجتمع المعاصر حيث أصبحوا يشكلون قوة ضاغطة كبيرة .

ثانيا : يتجه الشباب بحكم تكوينهم النفسى والاجتماعى إلى رفض بعض المعايير والتوجيهات والسلطة التى يمارسها الكبار ، وقد يتخذون موقفا مغايرا . ومن الملاحظ أن هناك محتوى مثاليا للذات الاجتماعية عند الشباب ينتج مباشرة عن التربية والتنشئة التى تلقاها . هناك أيضا ما يمكن وصفه بالمحتوى الواقعى للذات الذى غالبا ما لا يكون واضحا تمام الوضوح عند الشباب . وهذا التناقض ما بين الذات المثالية والذات الواقعية يؤدى إلى عدم الاستقرار فى شخصية الشباب . وينبغى أن نأخذ فى اعتبارنا ذلك الافتراض القائل بأن رفض الشباب لقيم ومعايير الكبار هو ظاهرة يتعين دراستها من زوايا متعددة . ويجب فى الوقت ذاته دراسة اتجاهات الكبار إزاء قيم الشباب ومدى رفضهم أو قبولهم لها .

ثالثا : يعبر الشباب فى المجتمع عن تلك الفئة التى تتسم بدرجة عالية من النشاط والحيوية والدينامية المتفردة . غير أن الشباب عادة لا يدرك أن الوسط الاجتماعى المحيط به ليس نتاج نشاطه فحسب ، بل نتاج أنشطة قامت بها وتحملت مسئوليتها الأجيال السابقة . ولعل هذه الظاهرة هى المسئولة عن صراعات وتناقضات بين الأساليب التقليدية للحياة ، والأساليب الجديدة التى يسعى الشباب إلى توكيدها . ومواجهة هذا الموقف لا تكون إلا بالممارسة العملية

والمشاركة البناءة ، وإتاحة الفرص أمام الشباب لإقامة العلاقات الاجتماعية المنتجة والإيجابية وعلى الكبار بذل جهد أكبر لتوجيه الشباب ونقل خبراتهم ومعارفهم إليهم على نحو يمكنهم من استيعابها وتقويمها ، وذلك سعيا إلى استغلال طاقاتهم واستثمارها لصالح المجتمع .

رابعا : تكمن أهمية الشباب فى كونهم الفئة الأكثر رغبة فى التجديد والتطلع إلى الحديث ، ولذلك يمثلون مصدرا أساسيا من مصادر التغير فى المجتمع . ولا بد أن يؤخذ فى الاعتبار كيفية استيعاب هذه الرغبة فى التغير والتجديد دون إحداث تناقضات أو صراعات حادة .

خامسا : يميل الشباب فى كافة المجتمعات إلى تطوير نسق ثقافى خاص بهم ويعبر عن مصالحهم واحتياجاتهم ورغبتهم فى التغير والتجديد . ولا ينبغى للمجتمع أن يقف موقف العداء من هذا النسق الثقافى . وهنا تبرز مهمة ضرورة دعم التكامل الثقافى العام دون ما تفرقة بين ثقافات الشباب والثقافات السائدة فى المجتمع ، ويتأتى ذلك من خلال ربط الأجيال وإبراز أدوار محددة تسهم فى تدعيم تنمية المجتمع وتطويره . وهذا يرتبط بتدعيم منظومة القيم والمعانى الأخلاقية الحامية للمجتمع من التفكك بين أفرادها والضمانة لعدم ظهور ثقافة مضادة للشباب التى تعكس أزمات ناجمة عن انهيار التكامل الاجتماعى بسبب التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية فى المجتمع المعاصر .

سادسا : إن انهيار التكامل الاجتماعى ، وتفكك المجتمع ، يحدث ما لم

يلتفت المجتمع إلى أن من واجبه استيعاب تحركات الشباب باعتبارها نقطة انطلاق لتغيير السائد تغييرا جذريا . فتورة الشباب التى تبدو واضحة فى كثير من المجتمعات هى علامة ومؤشر على انهيار الثقافة السائدة . لذلك يجب أن نضع فى اعتبارنا ونحن نسعى إلى إقامة هيكل ثقافى مناسب ، أهداف الشباب واحتياجاتهم ووضوح المستقبل أمامهم من خلال تدعيم مشاركتهم فى الحياة العامة .

سابعاً : حتمية العمل بكل السبل من أجل دعم انتقاء الشباب للنظم الاجتماعية القائمة فى المجتمع فى سياق يمكن معه الاستفادة من طاقاتهم فى التجديد والتغيير دون انبيارات كيفية تصيب بناءه . إن افتقار الشباب إلى الانتقاء ، أو شعورهم بالاستبعاد ، يمكن أن يكون مصدرا رئيسيا وراء التمرد الذى يعبر عنه الشباب بـ صور مختلفة تكون فى الغالب غير وظيفية . ولهذا فدعم الانتقاء يحوّل الشباب إلى قوة للإصلاح الاجتماعى والسياسى .

ثامناً : ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار أيضا ما يمكن أن ينجم عن سرعة معدلات التغير الاجتماعى من تزايد إحساس الشباب بالاغتراب واللامبالاة بالتيارات الرئيسية للحياة العامة ، ذلك أن سرعة تلك المعدلات تفصل الحاضر عن الماضى ، وتجعل المستقبل بعيدا عنها أيضا ، وتعزل الشباب عن الكبار ، وتعزل الشباب أيضا عن العديد من المواقف التاريخية فى المجتمع .

تاسعاً : يرتبط انعدام الانتقاء بين الشباب ارتباطا وثيقا ، بعدم قدرتهم على اتخاذ الآباء قدوة ملائمة لسلوكهم . وهذا يرتبط غالبا بما يوجد من

صراع وتوتر بين قيم الآباء وقيم الأبناء . غير أن هذا الصراع ينبغى أن لا يرقى إلى مرتبة الصراع الاجتماعى . إن الشباب يسعى إلى الاستقلال من أجل مزيد من الحراك الاجتماعى ، والمجتمع عليه أن يهيئ نظامه التربوى ، لترشيد هذا الاستقلال فى اتجاه يحقق طموحات الشباب ، ويجعل منهم طاقة نافعة لبناء المجتمع .

عاشرا : ينبغى أن يكون النظام السياسى القائم من الحزم والحكمة بدرجة يستطيع معها أن يجنب الشباب ما قد يتعرض له من أخطار اجتماعية ونفسية ، وذلك بدعم روح الجماعة والتعاون ، وتعميق الروابط الإنسانية بين الشباب والكبار ، وتوفير المناخ الملائم لنمو الطاقات الخلاقة عند الشباب ، وحمايتهم من مخاطر اليأس والضياع ، وتوفير مناخ السلام الاجتماعى ، ووضع استراتيجية ملائمة للإفادة من الشباب وما يعبرون عنه ونقدمهم للأوضاع القائمة دون قمع .

كذلك فقد يسعى النظام السياسى إلى جذب الشباب بعيدا عن دوائر النضال الاجتماعى ، أو الاقتصادى ، أو القضايا السياسية . وهنا مكن خطر كبير لأن هذا العزل يكون مصدر قلق وتوتر . وهنا تبرز أهمية ضرورة اندماج الشباب فى الحياة العامة كعامل استقرار وتكامل .

تلك هى الاعتبارات العشر التى لابد من الأخذ بها عند تناول مكانة الشباب فى المجتمع العربى المعاصر . أما الأدوار الاجتماعية للشباب فهى تمثل أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع الذى هو ، بهيئاته ومنظّماته المختلفة ، المسئول إلى حد بعيد عن دعم هذه الأدوار . والدور يمكن تعريفه على أنه

السلوك المتوقع من شخص ما ، ولكل دور متطلباته وخصائصه . والدور فى نظرنا هو مجموعة مواصفات تحدد ما ينبغى أن يفعله الشخص على مستوى المجموعة الصغيرة أو المجتمع الكبير . وهذه المواصفات قد يضعها للشخص المجموعة الصغيرة ، أو قد يحددها له المجتمع الكبير فى شكل معايير وقيم ، أو قد يرسمها الشخص نفسه لنفسه ، متخذاً فى هذه الحالة صورة توقعاته هو نفسه عن متطلبات هذا الدور المتصل بمركز معين (١١) .

والشباب كفئة رئيسية من فئات المجتمع لهم أدوار متنوعة شكلت اهتمام المجتمعات المختلفة قديماً وحديثاً . والبحث فى أدوار الشباب بحث بالغ التعقيد ومتعدد الجوانب . وهذا اللون من البحوث بحاجة ماسة إلى مداخل منهجية متعددة ومتغيرة وفقاً لتباين الأوضاع الاجتماعية . ومن الملاحظ مثلاً أن أشكال التوجيه الاجتماعى والمهنى للشباب ، أكثر فئات المجتمع اتصالاً بمستقبله ، تتغير بتغير الصراعات الأيديولوجية والقيمية ، مما يؤثر على أساليب الشباب وتحركاتهم ومواقفهم من القضايا الرئيسية المتصلة بمراحل النمو الاجتماعى التى يمر بها المجتمع .

وتشمل المكونات الرئيسية للمنظومة الاجتماعية التى تسهم فى تشكيل الأدوار الاجتماعية للشباب ودعمها على : الأسر ، المدرسة ، تنظيمات الشباب ، الأنشطة الاجتماعية المختلفة ، الأدب والفن ووسائل الإعلام ، الأحزاب السياسية ، وغير ذلك من مؤسسات اجتماعية تؤدي وظائف محددة من أجل استمرار المجتمع فى الوجود والحفاظ على توازنه .

ويختلف الدور الذى تلعبه هذه المؤسسات ، وتختلف أهميته النسبية ، باختلاف المجتمعات والمراحل التاريخية التى تمر بها وطبيعة النظام



● كانت الغالبية العظمى من أبناء العمال والفلاحين لاتتاح لها حتى فرصة الحصول على قدر من التعليم الأولى .

السياسي والأيدولوجي السائد في كل منها .. فالمؤسسات التعليمية - على سبيل المثال - أصبحت تلعب في المجتمع العربي المعاصر دورا بارزا حل محل كثير من الأدوار التي كانت تؤديها الأسرة في عهود ماضية . ولا يمكن أن نقارن بين الدور الذي يلعبه التعليم الآن ودوره في الماضي . فهو يلعب الآن دورا حاسما فعلا بالنسبة لأبناء مختلف طبقات المجتمع في الريف والحضر على السواء . بينما تحدثنا كتب التاريخ أنه - وحتى القرن التاسع عشر - كانت الغالبية العظمى من أبناء العمال والفلاحين لاتتاح لها حتى فرصة الحصول على قدر من التعليم الأولي (١٢) .

وتهدف مؤسسات المجتمع ، التي أشرنا إليها ، إلى دعم الأدوار الاجتماعية للشباب من أجل تشكيل شخصياتهم وإعدادهم لكي يكونوا أعضاء إيجابيين في المجتمع ، يستطيعون التعامل مع النظم السائدة فيه كافة من خلال نظام تربوي هدفه الأساسي إعداد الإنسان من أجل الحياة . ومن هذا المنظور يمكن للشباب أن يكتسب كل ما نريد أن نزوده به من معلومات . وفي هذا السياق يلعب النظام التعليمي دورا رئيسيا في توجيهه، وذلك عندما يتم التأكيد على الكيف أكثر من الكم ، وعندما ندرس العلوم المختلفة كعلوم عامة ذات صلة بمشكلات الحياة اليومية ، وقدرات الشباب وتأهيلهم لتحمل أدوارهم ومسئولياتهم في بناء المجتمع وتحقيق أهدافه .. عندما يلعب النظام التعليمي دوره في هذا الإطار ، وبهذا المفهوم ، فإنه يجعل من قضية العلاقة بين الشباب والمجتمع قضية مركزية . ويعد تدريب الشباب على اكتساب الأدوار الاجتماعية مسألة بالغة الصعوبة . ويفسر البعض هذه الصعوبة بازدياد أعداد الشباب بالنظر إلى معدل السكان في العالم . لكننا إذا نظرنا إلى الشباب على أنهم يمثلون

مرحلة الانتقال من الطفولة والتبعية إلى الرشد والاستقلالية والمسئولية ،
سنجد أن المشكلة ليست مجرد مشكلة سيكولوجية بيولوجية ، ولكنها
ذات طبيعه اجتماعية تاريخية أساسا . فمضمون مرحلة الشباب وحدودهما
يختلفان باختلاف المجتمعات .

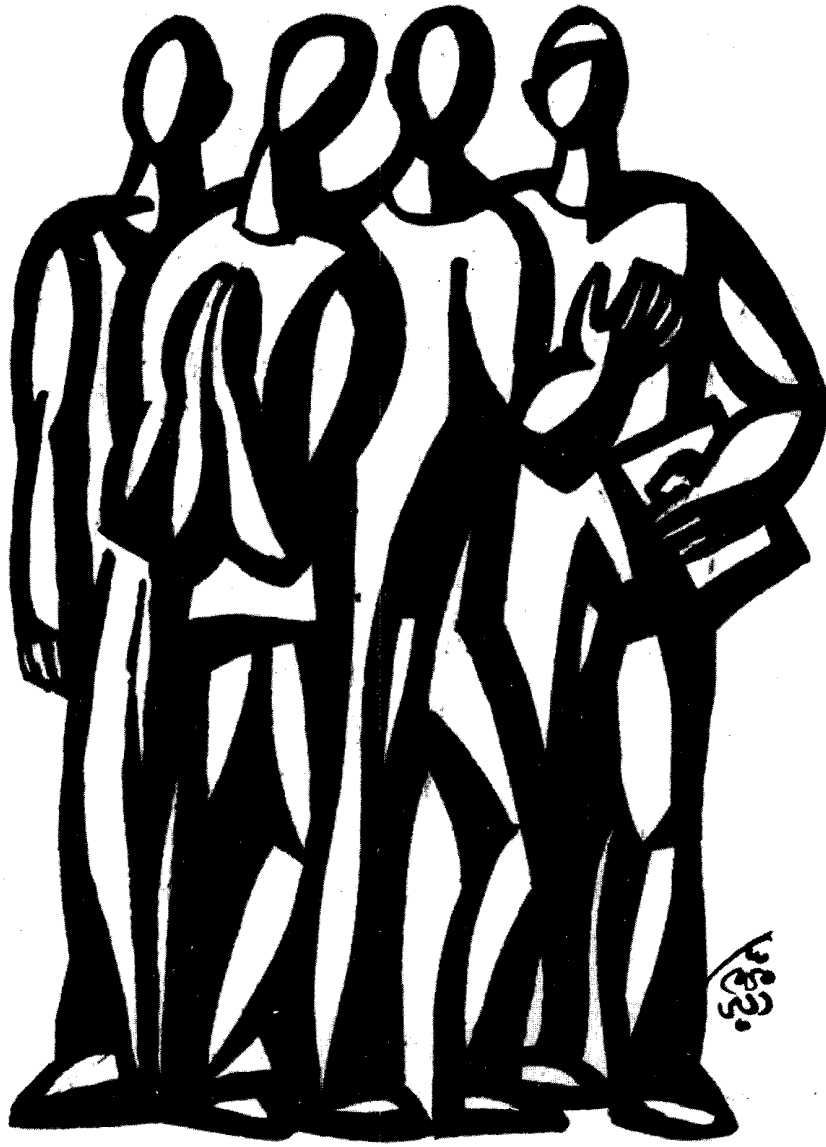
إن الاستعراض التاريخي للمؤسسات التي تسهم في دعم الأدوار
الاجتماعية للشباب ، يكشف بوضوح عن ديناميات عمليات التنشئة
والتوجيه والتربية وأهدافها المتغيرة بتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية . كما أن التحليل التاريخي لعملية اكتساب الأدوار الاجتماعية
ضروري لفهم مرحلة الشباب وما طرأ عليها من تغيرات معاصرة نتجت
عن التغير البنائي الواسع النطاق الذي شهده المجتمع المعاصر .

وتعد الأسرة من أهم النظم الاجتماعية المؤثرة في اكتساب الشباب
لأدوارهم الاجتماعية . وعلى الرغم مما يقال من أن تأثير الأسرة أخذ في
التلاشي بعد أن حلت محلها مؤسسات تربية أخرى ، فإن الأسرة ستظل
الخلية الأولى التي تلعب الدور الحاسم في تكوين أهم مقومات الشخصية
ألا وهو الضمير الإنساني . لقد تغير بناء الأسرة العربية عما كان عليه
قديما ، وتغيرت أيضا وظائفها ، وانعكس ذلك بالطبع على طبيعة العلاقات
بين أعضائها ، إذ لم يعد الدور التقليدي للأب هو الدور نفسه السائد الآن
كصاحب السلطة المطلقة . تلك السلطة التي حل محلها التوجيه القائم على
التفاهم والإقناع . لقد أصبحت العلاقات بين الآباء والأبناء أكثر إنسانية
وأكثر دفتا . فنحن نتحدث عن السلطة الأخلاقية للآباء ، والتي تحتاج إلى
قدرة خاصة للاحتفاظ بها ، ولجعلها وظيفية في توجيه الأبناء وإرشادهم .
وإذا كانت الأسرة ذات دور حاسم خلال مرحلة الطفولة المبكرة ، فإننا

نعتقد أنها تلعب الدور نفسه خلال مرحلة المراهقة والشباب ، ومن ثم يذهب كثير من الدارسين إلى أنه يجب توجيه الآباء أنفسهم على نحو يمكنهم من أداء أدوارهم خلال هذه المرحلة التى تحتاج إلى مهارات خاصة يتعين أن تتوافر عند الآباء .

بعد الأسرة تأتى المدرسة التى تعد أول نظام للتنشئة الاجتماعية للفرد . وهناك مشكلات تواجه المدرسة فى أداء هذا الدور . ومن الملاحظ أن التلاميذ اليوم يحصلون على المعلومات من مصادر متباينة ومتنوعة ليس للمدرسة أى سلطان أو رقابة عليها . كما لم يعد المعلم - فى الوقت ذاته - هو المصدر الوحيد للمعرفة ، بل إنه فى كثير من الحالات لا يستطيع أن يكون فى نظر المتفوقين من تلاميذه المثل الذى يجب أن يحتذى ، وهذا يشكل تحديا كبيرا أمام المدرسة لكى تصبح بؤرة الاهتمام الثقافى لتلاميذ المدارس الذين يخضعون لتأثيرات مختلف وسائل الإعلام من إذاعة مسموعة أو مرئية أو فضائيات وشبكات معلومات الإنترنت ، إضافة إلى غير ذلك من وسائل كالكتب والمجلات والمطبوعات .

وثمة عامل آخر يؤثر فى اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية ، ويؤثر تأثيرا بالغيا فى التكوين النفسى للشباب ، وهو العلاقات الاجتماعية التلقائية داخل جماعات الرفاق ، تلك العلاقات التى لم يكن لها أدنى دور فى نظام العائلة المغلقة . ولقد تغير الموقف تماما فى عالم اليوم حيث أصبحت العلاقات الاجتماعية التلقائية ، وجماعة الرفاق الأولية ، تلعب دورا رئيسيا فى عملية التربية والتدريب الاجتماعى ، وبخاصة فى المراحل المبكرة من الطفولة ، أكثر بكثير مما مضى كما ونوعا . واتسع نطاق هذه



● ينبغي أن نهتم بدراسة جماعات الصداقة التلقائية والأدوار التي تقوم بها.

الجماعات التى تبدأ من جماعات الأطفال لتشمل عددا من المنظمات والجمعيات غير الرسمية والأندية والروابط التى مهمتها تنمية الروح الاجتماعية ، وبخاصة بين الشباب . وتتضح أهمية هذه الجماعات ودورها فى تشكيل اتجاهات وقيم الشباب وسلوكهم من خلال ما كشفت عنه نتائج الدراسات التى تناولت طرق وأنماط تفضية أوقات الفراغ بين الشباب . فقد اتضح أن أعلى نسبة من الشباب يفضلون قضاء أوقات فراغهم خارج المنزل . كما أن نسبة عالية منهم يفضلون قضاء وقت فراغهم فى هوايات مشتركة مع رفاقهم . ولعل هذه الحقائق هى التى دفعت علماء الاجتماع والمهتمين بقضايا الشباب إلى صياغة مفهوم ثقافة الشباب الذى يعبر عن مجموعة القيم والمستويات السلوكية التى يكوّنها الشباب ، وتمثل ثقافة فرعية متميزة داخل الثقافة الأكبر . وفوق ذلك ، فإن جماعات الشباب ذات الثقافة الخاصة تنطوى هى الأخرى على محددات متعارف عليها بين أعضائها للمكانة الاجتماعية ومقاييس للهيبة ومعايير للقيادة . وتتسم هذه الثقافة بالتنوع والتباين باختلاف الوسط الاجتماعى الذى تنشأ فيه (١٤) .

هكذا يتعين أن نهتم بدراسة جماعات الصداقة التلقائية والأدوار التى تقوم بها . كما يجب التمييز بدقة وعناية بين جماعات الشباب المنظمة التى يوجهها ويقودها الكبار ، وهذه الجماعات غير الرسمية التى تتألف تلقائيا بحيث نهتم بتنمية وتطوير تلك النوعية من الجماعات الشبابية ذات الصفات الإيجابية .

يأتى بعد ذلك الانتشار الهائل لوسائل الإعلام والدور الذى تلعبه فى المجتمع الحديث فى اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية الوظيفية . فقد

ترتب على هذا الانتشار نتيجة مهمة تتعلق باستقلالية الشباب عن آبائهم ومعلميهم ، وذلك بوصف وسائل الإعلام مصدرا للمعلومات متاحا ومتوافرا للشباب العالم أجمع . مع ملاحظة أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تواجه المتطلبات والاهتمامات المتباينة للأفراد كافة من مختلف الأعمار ، إضافة إلى حقيقة مؤداها : أن « الكبار » هم الذين لا يزالون يحددون محتوى وشكل المادة الإعلامية . لذلك وجب ترشيد السياسة الإعلامية فى المجتمع العربى فيما يتصل بالشباب ، وعلى نحو يوفر لهم معرفة صحيحة لبيث الإعلام فيهم القيم الإيجابية ، التى تدعو إلى التكامل وتحث على فاعلية المشاركة بوصفهم القوة البشرية الكبرى فى المجتمع (١٥) .

إن كل العوامل التى عرضنا لها فيما سبق تتكامل وتتساند وظيفيا فى أداء دورها من أجل تنمية شخصية الشباب العربى . وبقدر ما يستند هذا التكامل والتساند إلى أسس علمية ، بقدر ما تنجح تلك العوامل فى أداء دورها نحو اكتساب الشباب أدوارا اجتماعية فعالة دون صراعات سلبية .



الفصل الرابع

الشباب العربى والغزو الثقافى

الأمر الذى ينبغى الانتباه إليه بخصوص مرحلة الشباب التى تبرز شخصياتهم فيها وتبلور معالمها الأساسية ، هو أن هذه المرحلة - على أهميتها وخطرها - ليست مستقلة بذاتها ، وإنما هى حلقة كبيرة متينة فى سلسلة الحياة المتطورة لكل فرد . فهى تالية لمرحلة قصيرة المدى نسبيا ، ولكنها محددة المعالم ، صغيرة الحلقات ، وهى الطفولة ، واليفوعة ، والغلومة ، والمراهقة ، والبلوغ . ولكل مرحلة من هذه المراحل سماتها وخصائصها العضوية والنفسية والاجتماعية ، التى تعد فى مجموعها أساسا للمراحل التالية لها ، يعتمد عليها امتدادها ونهاؤها وتبلورها ، وسويتها أو انحرافها . كما أن كل مرحلة أساس لما يليها من مراحل وبخاصة المرحلة التالية لها مباشرة ، فكذلك تكون كل مرحلة بدورها نتاج المراحل المتقدمة عليها ، وبخاصة المرحلة التى تسبقها مباشرة . حتى مرحلة الطفولة التى يتدرج فيها الطفل رضيعا ففطيا فحظينا ، تتأثر بالمرحلة الجنينية التى ينمو فيها الكائن من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى عظام مكسوة لحما إلى جنين مكتمل النمو فى البيئة الرحمية ، وقد تأثر عضويا ونفسيا ، وحتى اجتماعيا كما أثبتت البحوث الحديثة بأمه الحامل به وأحوالها العضوية والنفسية والاجتماعية ، وما يحيط بها من بيئة ذات واقع اجتماعى له خصائصه التى ترك بصماتها على الكائن البشرى جنينا ، ثم بأشكال خاصة



● الثقافة كإصطلاح علم اجتماعى هى كل مدخلات عقول الأفراد فى المجتمع .

أكثر تغلغلا وعمقا فى مرحلة الطفولة والمراحل الأخرى التالية لها ، بما فى ذلك مرحلة الشباب فمرحلة الرجولة التالية لها ، التى يتوق الشباب إلى اجتياز عتبتها والاندماج مع أفرادها .

والقاسم المشترك فى تشخصن الفرد وتطوره من النطفة الكيانية إلى إنسان عاقل مفكر متفاعل ، وفق قيم اجتماعية تحدد سلوكه فى أشكال معينة من العادات الاجتماعية التى تصبح أعرافا وتقاليد وبدعا وآدابا شعبية عامة ، ذلك القاسم المشترك هو التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية المقصودة والمصاحبة فى محيط الأسرة ، ومجموعة الأقران ، والجماعات التعليمية ، مدرسة كانت أو معهدا أو كلية فى جامعة ، وزمرة الرفاق فى العمل ، والجماعة الترفيهية ، وجماعة القرية فى الريف أو جماعة الحى فى الحضر ، وبخاصة الجيران فيها ، ثم المجتمع بوجه عام ، ممثل فى وسائل الإعلام فيه من الإذاعة ، والتلفزة ، والصحافة ، ومختلف المطبوعات ، وشتى أشكال الإنتاج الأدبى والفنى ، من موسيقى ورسم وتصوير ونحت وتجميل . ولكل منها منفردة ، كما لها كلها فى مجملتها ، تأثيرات عميقة ذات بصمات غائرة فى شخصية كل فرد فى مراحل نموه المختلفة ، وفى الشباب على وجه الخصوص كفتة متميزة .

الثقافة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للشباب :

الثقافة كاصطلاح علم اجتماعى هى كل مدخلات عقول الأفراد فى المجتمع بما فيه من ماديات ذات أشكال مختلفة واستعمالات محددة ووسائل وأساليب ومعدات معينة لإنتاجها ، وما فيه من حيوان ونبات وظواهر طبيعية مميزة كالأنهار والوديان والجبال والبحيرات ، وما ينتشر فيه أيضا

من أفكار وآراء وقيم ومعايير ومعتقدات ومعتقدات وعادات اجتماعية وأعراف وتقاليد وبدع وممارسات ، فضلا عن وسائل الاتصال ووسائل المواصلات ، وغير ذلك من المدخلات الدينية والخلقية التي تشكل مع المدخلات الأخرى شخصية الأفراد ، وتكوّن بناؤهم الفكري ، وتحدد أسلوب حياتهم النفسية - الاجتماعية .

هذه المدخلات الثقافية من عناصر الثقافة بنوعها المادى والمعنوى ، والتي تحتزنها عقول أفراد المجتمع ، فتجعل لهم شخصية وطنية تميزهم في مجموعهم كشعب عن شعوب المجتمعات الأخرى ، تنتقل إليهم بواسطة الوالدين والكبار في الأسرة ، والمدرسين في المدرسة ، والأساتذة في الجامعات ، والفنيين في معاهد التدريب ، والعلماء الباحثين في مراكز البحث العلمى ، وعلماء الدين في المعاهد الدينية والمساجد والكنائس ، والكتاب والأدباء ورجال الفن ، والإعلاميين في الصحافة والإذاعة والتلفزيون ، ولما كان لكل مرحلة من مراحل النمو المدخلات الثقافية ، التي يراها القائمون بنقلها مناسبة لعقول وحاجات أفرادها ، فإن لمرحلة الشباب مدخلاتها الثقافية المناسبة لعقول الشباب وحاجاتهم .

وعملية نقل المدخلات الثقافية إلى عقول الأفراد في كل مرحلة من مراحل النمو ، بما في ذلك مرحلة الشباب ذاتها ، هى التنشئة الاجتماعية بعينها . هذه العملية النفسية - الاجتماعية ، على الرغم من أهميتها وخطورتها ، تتم من قبل الوالدين والكبار في الأسرة بطريقة تقليدية ، يتوارثها الخلف عن السلف ، وقلما يستهدون فيها بإرشاد ذوى الاختصاص من المربين والنفسيين والباحثين المهتمين بها . ويضاف إلى الوالدين والكبار في الأسرة من على شاكلتهم في اتجاههم التقليدى ، من

القائمين بعملية نقل المدخلات الثقافية إلى عقول الأفراد ، في مراحل النمو المختلفة بفئاتها العمرية المتدرجة . والأمر اللافت للنظر ، هو أنه بينما لاقت مراحل النمو السابقة على مرحلة الشباب عناية بحثية فائقة ، من جوانب مختلفة أهمها الجانب المتعلق بالثقافة وأهميتها في التنشئة الاجتماعية ، لم تلق مرحلة الشباب إلا اهتماما محدودا ، ينقصه السبر الواعي المستبصر ، لما يجول في عقول الشباب من خواطر ، وما يعتمل في نفوسهم من انفعالات الشعور بالقلق والإحباط والتوتر . وكانت نتيجة ذلك ظهور حركات احتجاج قام بها الشباب في بلاد أوروبية وأمريكية عديدة في الستينيات من القرن الحالى ، الغرض منها إشعار المسؤولين ، وبخاصة في الجامعات ، بأنهم قوة لا يستهان بها ، وبأن لهم مطالب تستحق النظر فيها ، ومناقشتهم حولها مناقشة تتسم بالتفهم والاهتمام ، ثم تحقيق الممكن منها ، في جو ديمقراطى يسوده التسامح من قبل المسؤولين ، والرضا وعدم التعنت من قبل الشباب . فلما جاءت السبعينيات من بعد ذلك ، بالوفرة والأمان من البطالة والحرمان والكساد ، أمكنهم تحقيق كثير من طموحهم في معيشة هنية رغيدة مترفة ، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال ، وصدمتهم الثمانينيات بتقشفها التدريجى الشديد ، وواجهتهم بالشح والبطالة والكساد ، فأغلقت أبواب الأمل في وجوههم . فأحس الكثيرون منهم بالضيق وأصيبوا بآس شديد ، ولّد لديهم اكتئابا أفقدهم ثقتهم بأنفسهم ، فأقبلوا على المسكرات والمخدرات يلتمسون في تعاطيها مخرجا من أزمته ومهربا من خوفهم الرهيب ، الناجم عن اعتقادهم الجازم بأن مستقبلهم قد أصبح مظلم لا رجاء فيه .

ويختلف الشباب العربى عن الشباب الأجنبى من عدة وجوه ،

فالشباب العربى ينشأون فى أسر تحيطهم برعاية أكثر وحنان أكبر، ولا تتخلى عنهم مهما كبروا، وحتى حينما يتزوجون وينجبون ويصبحون بدورهم أرباب أسر، وتلقى الشابات بخاصة اهتماماً أعظم وعناية كبرى مستديمة. والشباب العربى يربون منذ نعومة أظفارهم على الإيمان بالله، ذلك لأنهم يتلقون توجيهات دينية فى أسرهم، ويتعلمون دينهم فى مدارسهم، ويغرس الحياء فى نفوسهم، فينمو مع نموهم، ويعصمهم إلى درجة كبيرة، وبخاصة الإناث، من الزلل والانحراف. ومن أهم العوامل التى تقوى تأثير الدين فى نفوسهم وبروز ذلك فى سلوكهم، بدرجات متفاوتة، احترامهم للكبار وتأسيهم بأبائهم الذين يحافظون على ممارستهم الشعائر الدينية، من صلاة وصوم وزكاة وحج. وتهتم الدولة فى الوطن العربى بتقوية الروح الدينية، بالاحتفال بالمناسبات الدينية وإذاعتها بالصوت والصورة، كما تهتم الصحافة بذلك فتفرد للكتابات الدينية باباً بارزاً على صفحاتها. وتعد إذاعة القرآن الكريم فى كثير من الدول العربية مصدر إشعاع دينى، يما تبثه من القرآن المرتل والمجود، ومن السنة المطهرة، ومن دروس وعظ وإرشاد، ومن تاريخ إسلامى يركز على سيرة الرسول الكريم وسير الخلفاء الراشدين والصحابة البارزين وعلماء الدين النابهين، وفضلاً عن ذلك، تتخلل برامجها العامة المذاعة والمتلفزة فقرات دينية لها أثرها على قصرها وقلتها النسيبة. ومن أبرز ما يذاع فيها الأذان الذى يدعو المسلمين للصلاة خمس مرات فى الليل والنهار، فيذكرهم بأعظم فرض فى العبادات، ويحثهم على أدائه فى أوقاته المحددة، وبذلك لا تنقطع صلتهم بالله عز وجل.

الغزو الثقافى وتأثيره على الشباب العربى :

يتعرض الشباب العربى إلى غزو أجنبى فى كل فرع من فروع الثقافة،

التي تنقل مدخلاتها إلى عقولهم فيظهر مفعولها في سلوكهم وأسلوب معيشتهم ، ليس في مرحلة الشباب فحسب ، بل أيضا في المراحل السابقة عليها . فملا بسهم وكثير من الأدوات والأجهزة التي يستعملونها في بيوتهم ، ووسائل اتصالهم ونقلهم ، حتى أدوات كتابتهم وأجهزة تصويرها وتسجيلها ، كلها مصنوعة في الدول الأجنبية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، واليابان ، وفرنسا ، وألمانيا . وهذه ظاهرة تلفت نظر الشباب العربى ، منذ أن يقوى وعيهم ويتأكد إدراكهم ويشتد تمييزهم ، حتى إذا ، بلغوا سن الشباب ودخلوا مرحلته الممتدة من بعد الثامنة عشرة ، أصبحوا من التأثر بالغزو الأجنبى المادى ، بحيث يصيرون ، وإن لم يشعروا ، دعاة لاستخدام مصنوعاته . وينجم عن كثرة الطلب لها وتزايد المستمر ، وجود التجار الوكلاء الذين يستثمرون أموالهم في استيرادها وتسويقها والإعلان عنها وترويجها . وتلعب «المودات» المستحدثة دورا مهما في جذب الشباب وشد انتباههم إلى الجديد منها ، والعزوف عما صار قديم الشكل والحجم ، مما أصبح الاستمرار على استعماله يدل على طبقة لا يستطيع دخولها اقتناء الجديد في طرازه أى « مودته » .

ويتضح هذا الغزو المادى في عقول الشباب ، بانتشاره في كل المجالات التي ينشط فيها الشباب ، وفي كل شكل من أشكال التجمعات التي ينتمون لها ويندجون مع أفرادها ، من الأسرة إلى المدرسة إلى النادى إلى الجامعة إلى مكان العمل ، إذ فيها كلها تستخدم أدوات وأجهزة مستوردة من الدول الأجنبية ومختومة بعبارة : « صنع في الولايات المتحدة الأمريكية » ، أو « صنع في بريطانيا » أو « صنع في اليابان » .. وهلم جرا ،

وتصبح هذه العبارة من أبرز المدخلات الثقافية المادية في عقول الشباب الذى ينهر بالصناعة الأجنبية، وبخاصة صناعة السيارات التى يستهويه قيادتها، وصناعة أدوات الترفيه وأجهزتها الآلية بما فى ذلك الحاسب الآلى (الكمبيوتر)، الذى صنع أصلا لخدمة العلم والباحثين فى شتى فروعهم وطلابه. ويقوى انبهار الشباب بكل ماهو من صنع أجنبى، ما يرونه على الشاشة الصغيرة فى بيوتهم مما يعرضه التلفزيون من موضوعات وأفلام ودعايات تنضح بحضارة الغرب، أى بثقافتهم المادية. وهذا فضلا عما يتاح بواسطة الفيديو من رؤية أشرطة تبهر العقول بمادياتها، إضافة إلى الإنترنت والاتصالات الإلكترونية. وليس بغريب إذن أن يتوق الشباب إلى زيارة الدول الغربية والسياحة فيها، وشراء مصنوعات، والاقتداء بشعوبها فى استعمالها، ثم التفتن فى استعمالها استعمالا سيئا، لإشباع شهواتهم الملتهبة.

لكن أخطر شئ فى الغزو الأجنبى، يكمن فى الجانب غير المادى أى المعنوى من الثقافة، الذى يشمل الأفكار والآراء والمعتقدات والمعايير والقيم، التى تملى على الشباب ألوانا من السلوك، إذا تكرر بانتظام، أصبح لهم عادات وأعرافا وتقاليد وبدعا، يتمسكون بها بشدة، وإلى درجة التعصب فى كثير من الأحيان، وذلك لانبهارهم الشديد بها، وإعجابهم البالغ بقائلها وكاتبها ومصورها. وهكذا يصبحون بدون أدنى تفكير، أتباعا لهم، يأخذون عنهم وينقلون من كتبهم ويدعون لأفكارهم، بصرف النظر عما إذا كانت متطرفة وهدامة، أو شكاكة وملحدة، أو منحرفة ومخرجة، أو إباحية وفاجرة. ويزيد الأمر خطورة، عندما يصبح لمدخلات الغزو الأجنبى غير المادى، أى المعنوى، قيمة كبيرة بين الشباب، بحيث يصبح مخترنها والمتأثر بها والداعى لها مرموقا

بينهم ، يلتفون حوله ويقدرونه ويقلدونه ، على حين يصبح النافر منها والمفند لها والمحذر من شرورها ، تقليديا محافظا وجامدا متأخرا ، يتعد عنه من فقدوا هويتهم من الشبان المبهورين بالثقافة الأجنبية غير المادية (١٦) .

وخطر الغزو الأجنبي على الشباب العربي ، يظهر أثره المرضى في إصابتهم بنوع من الدونية الفكرية المحبطة ، أمام الثقافة الأجنبية بعناصرها المادية وغير المادية ، فيقتنعون بأنهم المغلوبون في عملية الغزو الذي يتغلب فيه الأجانب على أيدٍ عربية مضللة ومضلة . و « المغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه وبخلقه وسائر أحواله وعوائده » . هكذا قرر العالم الاجتماعي العربي ، عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته (ص ١٤٧) منذ أكثر من ستمائة سنة . وهذا أمر سهل الاستقراء من الاطلاع على كتب القائمين بالتدريس في الجامعات العربية ومقالاتهم المنقولة من كتب الأجانب ومجلاتهم العلمية . ذلك أن الكتب والمقالات العربية ، التي كتبها الأساتذة والباحثون العرب المنبهرون بالإنجازات والأفكار والمعتقدات والمعايير والقيم الأجنبية تنضح بأسماء الأجانب وتنظيراتهم وآرائهم ومقولاتهم ، بدون تفرقة بين الغث منها والسمين ، لأن حب الشيء يعمى ويصم ، كما تقول الحكمة العربية .

والأمر الذي يجب التنبيه له ، هو انتقال التبعية إلى الثقافة الأجنبية بعناصرها المادية وعناصرها المعنوية ، من أساتذة الجامعات إلى طلابهم ، وبخاصة المتفوقين منهم ، الذين تحرص الجامعة على تعيينهم ليخلفوا أساتذتهم بعد بضعة سنوات ، فينقلونها بدورهم إلى طلبتهم ، وهكذا يتوارث الانبهار بالفكر الأجنبي للشباب العربي عبر الزمن ، وترسخ

مدخلات الثقافة الأجنبية فى عقولهم . وهذا أقصى ما يتمناه الأجنبى ، إذ يجد أن ثقافته تترسخ وتوطن على يد شباب الوطن العربى أنفسهم جيلا إثر جيل (١٧) . وهكذا تحول الاستعمار فى الوطن العربى من الاحتلال العسكرى الكثير التكلفة إلى احتلال ثقافى ، لا يكلف الدول الأجنبية أعباء مالية ، وإنما يسهم بفاعلية فى ثرائها ، عن طريق ترويج إنتاجها المادى والمعنوى على أيدي فئات غافلة أو مستهترة أو متطرفة من أبناء الوطن العربى ذاته .

وتدليلا على ما سلف ذكره ، يكفى القول بأن بضعة الكتب المنشورة لأساتذة عرب عن الشباب العربى ، كلها منقولة عن مصادر أجنبية ، مثبتة فيها بالعشرات ، وجل ما فيها وصف للشباب الأجنبى فى عدة مجتمعات ، وبخاصة شباب الجامعات ، ورفضهم وثوراتهم واغترابهم عن مجتمعاتهم التى تصيبهم مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بالقلق والتوتر والإحباط والقهر . ويزيد من شدة وطأتها عليهم ، خلو نفوسهم من الإيمان بخالفهم ، فيسلمون قيادهم لأصحاب الأفكار المتطرفة ، التى تفتقد إلى البراهين التطبيقية والتجارب العملية . وهنا يصح التساؤل عما إذا كانت التطرفية ، فى أعماقها ، أفيون المثقفين ، وبخاصة من الشباب الأجنبى ، فى العقدين السادس والسابع من القرن الحالى . إن نشر هذه الكتب فى الوطن العربى ، هو غزو أجنبى بليغ الضرر فى نفوس شبابه ، ما لم تحلل حياة كل من الشباب الأجنبى والشباب العربى باتباع المقارنة البرهانية فى ضوء الثقافة الأجنبية التى طغت عليها القيم المادية ، والثقافة العربية التى تسودها القيم الروحية والدينية حتى الآن .



الفصل الخامس

الشباب وتحديات المتغيرات المستقبلية

وقد بدأ الحديث عن التحديات التى تواجه الهوية الثقافية الوطنية مع نهضة أوروبا ومرض الدولة العثمانية ، وعاود الظهور فى القرن التاسع عشر عندما بدأت أوروبا تغلب وتستعمر . وتكررت المسألة مع ظهور القضية الفلسطينية كما تكررت مع انتشار التغيرات الجذرية المرتبطة بالمد الشيوعى فى الخمسينيات والستينيات ، ومع هزيمة ١٩٦٧ - واليوم تعود المسألة إلى الظهور مع تأثيرات تكنولوجيا الاتصال .

ولم يتوقف ظهور مسألة تحديات الهوية الثقافية الوطنية على المثيرات السياسية ، بل انبعثت المسألة بفعل مثيرات أخرى على المستوى الفكرى الفلسفى والعلمى التكنولوجى . وإذا كانت معظم المثيرات السياسية قد تلاشت تاريخيا عدا القضية الفلسطينية ، فإن هناك مثيران لا يتراجعان أولهما : المثير العلمى التكنولوجى ، وهو قوى لا يتراجع ، بل يمتضى قدما إلى الأمام بزخم متزايد ، وثانيهما : هو موجات الأفكار والفلسفات الغربية التى تتلاطم على سواحلنا الثقافية موجة إثر أخرى .. لانهاد موجة إلا وتلطمنا موجة أقوى منها وأعلى .

جاء رد الفعل التاريخى لثقافتنا الوطنية فى واحدة من الصور التالية :

- صورة ترفع لافتة الأصالة وتتخندق فى التراث بعد أن تحتزله إلى المثال .



● وقد إنتقل إلينا الغرب من قبل مع أسلحته التى إخترعها وتفوق علينا
بها، فى المطبعة و الصحيفة .

- صورة ترفع راية المعاصرة وتأخذ بها لدى الغالب بتنوعاته المختلفة .
- وصورة تطمح إلى الجمع بين الحسنيين الأصالة والمعاصرة ، أو التراث والحداثة .

وبمقدار ما تختلف هذه الاتجاهات على مستوى الفكر ، فإنها لا تختلف على مستوى الحياة المحسنة ، إذ تنهل جميعا من ثمرات الثورة العلمية التكنولوجية التى تهطل بغزارة متزايدة .

وقد انتقل الغرب إلينا من قبل مع أسلحته التى اخترعها وتفوق بها ، ومع المطبعة ، ومع الصحيفة التى وزعها ، ومع نظام الجندية التى قادها نابليون فى حملته التى أيقظت الشرق ، ومع المحرك البخارى فى القطار والمحرك الأحدث وهو آلة الاحتراق الداخلى فى السيارة ، ومع التليفون ، ثم مع الراديو ، ثم التليفزيون ، ثم تكنولوجيا المعلومات ونقل المعلومات ، وأخيرا تكنولوجيا البث المباشر بالأقمار الصناعية . كذلك انتقل الغرب إلينا فى نظم التعليم والسياسة والبحث العلمى والبناء والصحة وغيرها مما أصبح عالميا .

وكما هو واضح من هذه القائمة المختصرة ، فإن الظاهرة التى تدور حولها المداولات اليوم ليست هى قدوم ما هو أجنبى ، فذلك يأتى طوال القرنين السابقين بصورة متواصلة تتزايد مع تزايد وسائل الاتصال والمواصلات فى العالم ، وليست هى ظاهرة برامج الإذاعة والتليفزيون أو أفلام السينما ، فهذه هى الأخرى مستمرة تستخدمها أجهزة ذاتها منذ زمن طويل ، بل الظاهرة هى أن ما سينقل عبر تكنولوجيا الأقمار الصناعية يتخطى الحواجز الحدودية مرتفعا فوق مدى الرقيب أو حارس البوابة ،

كما يرتفع على قدرة الدولة المتأثرة على الحد من استقباله كما كانت تفعل من قبل بمنع أو حظر تداول الكتب أو مصادرة الصحيفة أو التشويش على الإذاعة الموجهة . معنى هذا أن أفراد مجتمع معين سيتلقون رسائل إعلامية من دولة أخرى باختيارهم المباشر دون أن يكون لمؤسسات هذا المجتمع الرسمية أدنى تأثير على هذا الاختيار ، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى تغيرات محكومة من المؤسسات الرسمية التى تعبر عن العقل والضمير الجمعيين لهذا المجتمع .

ما الذى يمكن عمله فى مواجهة هذه الظاهرة ؟

يرى قلة من المهتمين أن هذه ظاهرة غير جديدة ، فلن يكون تليفزيون البث المباشر أكثر تأثيرا من إذاعات الراديو الأجنبية التى لم تستطع أن تؤثر على ثقافتنا التاريخية الحية ، التى تستطيع الحياة فى مواجهة مثل هذه المثيرات .

ويرى معظم من تعرضوا لهذه الظاهرة أن لها تأثيراتها ، واختلفوا فيما يتعلق بكيفية مواجهة هذه التأثيرات . هناك من يتحدث عن انفتاح كامل من خلال الارتفاع إلى الأداء الثقافى المبدع فى جو من الحرية مع التسليح بالعلم والتكنولوجيا والأسلوب العلمى فى التعامل مع الحياة ، وهناك من يأخذ بالرد النوعى أو الجزئى ، وهؤلاء ينقسمون إلى من ينادون بأن الإنتاج الأفضل هو الذى سيستعيد الجمهور الذى قد تجتذبه تليفزيونات البث المباشر . ويرى آخرون أن الظاهرة كلها بحاجة إلى دراسة أعمق للعوامل التى تؤثر على إقبال جمهور معين على استقبال إرسال معين ، مثل : اللغة ، ومحتوى البرامج ومستواها الفنى ، واهتمامات المشاهدة ، والعلاقة بين الرسالة والمستقبل .. عالمه وهمومه ومشكلاته واحتياجاته الحقيقية وما

يتوقعه من وظائف للتلفزيون . وأن ما تم من دراسات حتى اليوم على هذا النوع من الاستقبال فى أوروبا يبين أن نسبة مشاهدته غير مرتفعة .

ومن المعروف أن الدولة النامية كانت تدعو فى اليونسكو إلى نظام إعلامى جديد ، وكانت الهوية الثقافية أحد الدوافع الرئيسية وراء هذه الدعوة . ويرى البعض هنا أن الظاهرة التى نتعامل معها تثير قضية على مستوى قانون الأمم . فوفقا لأحد قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ليس للدولة أن تنشئ بشا مباشرا بالقمر الصناعى أو تصرح به إلا بعد أن تخطر الدولة أو الدولة المستقبلية بعزمها ، وأن تدخل فى مشاورات معها إذا طلبت ذلك ، وأنه لا تنشأ مثل هذه الخدمة المباشرة إلا على أساس اتفاقات . ويشترط نظام الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية الموافقة المسبقة للدولة المتلقية لإطلاق إشعاع المحطة الفضائية على أراضيها . وعلى الرغم من هذا ، فإن القانون الدولى ليس ملزما ، كما أن الأطراف المرسله تحتج بقواعد أخرى مضادة من نفس القانون . ومع ذلك ، فإن باب اللجوء إلى اتفاقيات إقليمية أو ثنائية يظل مفتوحا ليحكم مثل هذه المعاملات الدولية الجديدة (١٨) .

خلاصة :

شهد القرن العشرون تعاظم الثورة العلمية التكنولوجية التى أخذت تفعل أفعالها مدعمة آثار الثورة فى المجالين السياسى والاجتماعى : ثورة التحرر والديمقراطية وحقوق الإنسان ، بدأت المسألة فى ميدان الفكر والبحث العلمى الاجتماعى والفلسفى . فلم تعد الحقيقة ملكا لواحد بعينه فردا كان أو مجتمعا . وتركت الواحدة المسرح لتتربع عليه التعددية ،

ومع الواحدة كان لابد للتمركز الثقافى حول الذات أن يتلاشى تاركا المكان للتعددية والنسبية الثقافية . وإذا كان التميز قد انتهى ، فإن المساواة هى الوريث ، ومعها النزعة الإنسانية التى تنمو وتتسع لتشمل العالم . ومع انتشار آثار الثورة العلمية التكنولوجية وتزايد السكان بشكل لم يحدث من قبل ، ظهرت المشاكل ذات المدى العالمى لتهدد البشرية كلها كخطر الدمار النووى وتلوث البيئة والجوع والكوارث والمخدرات والأمراض الجديدة.. وجميعها ظواهر تدعو إلى التضامن العالمى والتوفيق من أجل التوصل إلى حلول تخدم البشرية فى ذلك العالم الذى أصبح بكل ما يحتويه من تنوع كونا واحدا حولته تكنولوجيا الاتصال إلى قرية عالمية واحدة.

إن مصدر خوف البعض منا مما سيأتى مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة ينبع من القوة الهجومية الغالبة للحدثة التى لاتقنع بأذى من السيادة والانتشار . غير أنه بقليل من التأمل، نكتشف أن لهذه العالمية وجه آخر هو المحلية، الذى يزدهر مع نمو الثقافات الوطنية وازدهارها . ومن هنا ، فإن الثقافة الوطنية مدعوة ليس إلى الاحتفاء بردود فعلها التقليدية فى مواجهة المثيرات الجديدة ، بل هى مدعوة إلى المشاركة فى صنع ثقافة المجتمع الدولى الجديد . إن مجيء الصورة مع الصوت هذه المرة - صورة الحضارة الغربية وصوتها - يمكن أن يدفع فى ثقافتنا حس المقابلة بين كيفية تشغيل الحضارة الغربية لآليات نموها وتقديمها ، وإمكانيات تشغيل مثل هذه الآليات فى ثقافتنا كى تبذل منجزات تثرى الحياة الإنسانية فى المجتمع العالمى الجديد . ولاشك أن الشباب هم عماد الإبداع والابتكار . ولكى تنمو ثقافتنا وتزدهر ، فإن آخر ما قد تحتاج إليه هو أن تتخندق ضد مد الثقافة العالمية . إن ماهى بحاجة إليه هو أن تحدث التفاعل بين

مالديها وما لدى الآخرين تفاعلا منتجا ، ولن يكون منتجا إلا إذا كان تفاعلا دياكتيكيا يحول الأضداد إلى مركب جديد فاعل ، وهذا هو طريق المشاركة في الحضارة العالمية .



أهم المراجع

- ١- محمد على محمد ، الشباب العربى والتغير الاجتماعى ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .
- ٢- عزت حجازى ، الشباب العربى والمشكلات التى يواجهها ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٨ .
- ٣- الشباب المصرى فى إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، التقرير الخامس ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٠ .
- ٤- انظر : Musgrove , F.Youth and The Social Order, Routledge and Kegan Paul ,1968 .
- ٥- انظر : Lewis Fever . The Conflict of Generations, N.Y. Basic Books . 1969 .
- ٦- انظر : S.M, Lipset . (ed) Student Politics, N.Y.Basic Books , 1967 ,
- ٧- فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، بيروت ، دار النهضة العربية، ١٩٨١ .

8 - R. Flacks , Youth and Social Change , Chicago, Markham Book, 1973 .

(٩) عزت حجازي ، المرجع السابق .

وانظر أيضا ، السيد عبد العاطي ، صراع الأجيال ، دراسة في ثقافة الشباب ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .

(١٠) انظر : A. Bandura , The Stormy Decade : Fact or Fiction ? in D. Rogers (ed) Issues in Adolescent Psychology , N.Y.Appelton - Century rofts, 1972.

(١١) سامية الساعاتي ، الثقافة والشخصية ، دار الفكر العربي ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠١ .

(١٢) محمد علي محمد ، المرجع السابق .

(١٣) انظر حول مفهوم الذات .

Erick Erikson , Identity : Youth and Crisis, N.Y. Norton , 1968 .

(١٤) محمد علي محمد ، وقت الفراغ في المجتمع الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ .

(١٥) حسن صعب ، تحديث العقل العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩ .

(١٦) حسن الساعاتي ، التحولات الحضارية في العالم العربي ، نحو نظرية عربية في الإنسان في مصر ، تحليلات علمية مهداة إلى أ.د أحمد

خليفة من نفر من الأساتذة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٦ .

(١٧) سامية الساعاتى ، وآخرون ، البحوث الاجتماعية وترشيد السياسات للنهوض بأوضاع الشباب فى ضوء التحولات الاجتماعية الاقتصادية ، الفصل الأول ، الشباب والتحول الاجتماعى الاقتصادية : المفهوم والمتغيرات ، اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة « يونسكو - إليكسو - إيسسكو » يوليو ٢٠٠١ .

(١٨) ممدوح البلتاجى ، أزمة هوية أم عجز عن محاسبة الحرية ؟ ، مؤتمر الهوية الثقافية الوطنية وتكنولوجيا الاتصال - القاهرة ، ٢-٣ نوفمبر ١٩٩١ .



الفهرس

٥	- لماذا هذه السلسلة ؟
٧	- مقدمة
	- الفصل الأول : الشباب العربي والتغير الاجتماعي
١٣	(المفهوم .. والأهمية)
١٩	- الاهتمام العلمى بدراسة الشباب
	- الفصل الثانى : التغير الاجتماعى فى الوطن العربى
٢٣	وتأثيراته على الشباب
٢٥	- التغير الاجتماعى والتغير الثقافى
٢٦	- اتجاهات التغير
٢٦	- مصادر التغير الاجتماعى
٢٧	- معدلات التغير الاجتماعى
٣١	- التغير الاجتماعى ، وتوجيه الشباب
	- الفصل الثالث : الشباب العربى فى المجتمع
٣٣	المعاصر (الأدوار والمكانة)

٤٩	- الفصل الرابع : الشباب العربى والغزو الثقافى
٥٣	- الثقافة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للشباب
٥٦	- الغزو الثقافى وتأثيره على الشباب العربى
	- الفصل الخامس : الشباب وتحديات المتغيرات
٦١	المستقبلية
٦٧	- خلاصة
٧١	- أهم المراجع

